

عائد من الظلام

بقلم / أحلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلُ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليبِ



عائد من الظلام!

- الحلقة الثانية عشرة -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

عائد من الظلام!

- الحلقة الثانية عشرة -

#بقلم: #أحلام-النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة-مؤسسة-أوار-الحق



كانت الكنيسة بصدد عمل فعاليات للبدء بحملة تنصيرية جديدة في بعض القرى الإفريقية، وقد رشحت لإلقاء خطابها الأول قسًّا تخرج حديثاً يدعى "ماكرو" - كونه وجهًا جديدًا في الساحة...-، وأوكلت إلى القس "ألفرد" مهمة تدريبه على الإلقاء والتأثير على الأهالي؛ نظرًا لخبث الأخير وسعة تجربته في هذا المجال.

نظر "ألفرد" في ساعة يده، ثم قال متبرِّمًا:

- سيكون عندي اجتماع بعد قليل!

وحول بصره إلى الشاب "ماكرو" متابعًا:

- وأنت أيها البليد ما تزال غير متقن لتدريباتك!

وتنهّد ثم قال:

- حسن، لنبدأ من جديد، راقبني.

وعدّل من وقفته، وتابع - وحركات يديه وتعاير وجهه تتناغم مع كلامه:-

- تفتح ذراعيك عند الكلام عن المحبة؛ لتبدو وكأنك تستعد لاحتضان أحد، ثم تشبك بين يديك عند الكلام عن التعاون، لا تبقى عابسًا جامدًا كأنك جنرال في المعركة! بل ابتسم أوسع ابتسامة يسمح بها شدّقاك، وانتبه إلى نبرات صوتك؛ إذ لا بد أن يكون دافئًا حنونًا رخيماً، هل كلامي واضح؟

قال "ماكرو":

- نعم يا سيدي.

قال "ألفرد" ساخطاً:

- لنأمل هذا بعد مرات الشرح الأربع!

وجلس ثم أشار إليه كي يبدأ؛ فانطلق "ماكرو" يتكلم:

- نحن جماعة التبشير، جئنا إلى إفريقيا كي نمسح دمعته، ونضمّد جرحها، وننشر فيها المحبة والسلام، و..

هتف "ألفرد":

- سَبِّل عَيْنِكَ! سَبِّل عَيْنِكَ أَكْثَرُ أَيُّهَا الْأَحْمَقُ؛ لَكِي تَبْدُو مُؤَثِّرًا وَمَقْنَعًا! اللَّعْنَةُ! ثُمَّ..
ما كل هذه العجلة في الخطاب؟! أَتَقُومُ بِتَسْمِيْعِهِ؟! تَكَلِّمُ بِيْطَاءَ وَكَأَنَّكَ تَهْدِدُ طِفْلاً
لِيَنَامَ! أَرِيدُهُمْ أَنْ يَرَوْا فِيكَ الْبَطْلَ الْمُنْقِذَ!

تنخح "ماكرو" مرتبكا، وأخذ نفساً عميقاً ليخفف من توتره مواصلاً:

- وننشر فيها المحبة والسلام، بعد كل الحروب المؤلمة والمجاعات القاسية...

قاطع "ألفرد":

- لتنفعل ملاح وجهك مع الحرب المؤلمة والمجاعة القاسية يا لوح الثلج! هكذا..
انظر!

وأغمض "الفرد" عينيه بشدة ومعاناة، وأغلق قبضتيه وبسطهما، وأشار بيديه بشكل يناسب سياق الكلام:

- بعد كل الحروب المؤلمة! والمجاعات القاسية! ودموع الفقر والألم!

ووجه نظرات كالسهم تجاه "ماكرو"؛ فردّد المقطع السابق، ثم تابع:

- وإنا نريد أن نعاونكم على تخطي المآسي والحروب؛ فهللوا انضموا إلى عبادة يسوع المخلص.

وحيث قال العبارة الأخيرة بحركة مسرحية مؤثرة؛ فقد رفع "الفرد" يده بملل وقال:

- يكفي هذا.

ونفض عن الكرسي، وتابع:

- المهم أن تتمرّن جيداً على حركات الحنان ونظرات العطف، أريد أن تخدع أولئك الأغبياء تماماً، هل فهمت؟

- نعم يا سيدي.

وتنح "ماكرو" ثم سأل:

- ألا يجدر بنا أن نشير إلى فتوحات جيشنا الصليبي يا سيدي؟!

صرخ "ألفرد" وهو يشد شعره:

- يا كَلَّةَ الغباء المتحركة! يا عصارة الحماقة الخالصة! أي مخبول كتب لك الخطاب؟!

قال "ماكرو" متلعثمًا:

- أنت يا سيدي!

صرخ "ألفرد":

- وهل وجدت فيه إشارة إلى الجيش؟!

نكس "ماكرو" رأسه باستسلام وقال:

- لا يا سيدي.

تابع "ألفرد" صراخه:

- بالضبط! إذ يلزمني خبال أكبر لأشير إلى الجيش في خطابٍ موجهٍ لعبيدنا من أكياس الفحم الإفريقية!!

بدا "ماكرو" مترددًا، ثم استجمع شجاعته وقال:

- الأمر يا سيدي.. أن كل عمل يُنسب إلى الكنيسة، وكأن الجيش لا عمل له ولا فائدة منه، مع أن الكنيسة ما كانت لتدخل هذه القارة لولا الجيش!

وإذ رأى نظرات الشرر في عيني القس الغاضب، فقد تابع معتذرًا:

- هـ.. هذا كلام شقيقي المنتسب للجيش، وأنا.. أنقل وجهة نظره فقط!

زفر "ألفرد" ساخطاً ثم قال:

- سحّاق لك ولشقيقك الغبي هذا! كيف أشرح لك؟! ها أنا ذا قس ومع ذلك أعمل في هذا المعسكر، الجيش مهم جداً في التشريد والتهجير والقمع والقتل والتعذيب، والسيطرة العسكرية على المدن والقرى، ولا يمكننا الاستغناء عنه إطلاقاً، لكن.. كيف تمتصّ عواقب ذلك كله من قلوب الناس، وتسيطر عليهم نفسياً وفكرياً؛ ليكونوا أداة طيعة في يدك، أو يكفوا عن اعتبارك خصماً لهم على الأقل؟!!

زوى "ماكرو" بين حاجبيه، وقال:

- لم أفكر بهذا الشكل من قبل يا سيدي.

ابتسم "ألفرد" بثقة، وجلس واضعاً ساقاً فوق أخرى، وقال:

- ما تزال ناشئاً يا بني! إنها استراتيجية مهمة جداً؛ قائمة على مبدأ "صليب يقتل، وصليب يُنصر"؛ فبعد أن تلوع الناس وتهجرهم: جوعهم! ثم لوح لهم بالريغيف وأفهمهم أنك وسيلتهم الوحيدة للشعور بالشبع؛ هكذا ينسون أنك كنت سبب جوعهم وفقرهم! ثم أشعل المشكلات بينهم، واستمتع بمراهم يتشاجرون ويتذابحون غافلين عنك، حتى إذا استتوا للقطاف، ونال منهم التعب والإرهاك: تدخل بينهم متظاهراً بالحنان والقلق والرغبة في حل المشكلة ونشر المحبة؛ لتتمكن من فرض شروطك؛ فأنت هنا وصلت إلى ما تريد دون أن تعاني، بل كانت المعاناة من نصيبهم وحدهم! فهل فهمت لماذا لا نشير للجيش حين نلبس مسوح الرهبان؟!!

كان "ماكرو" يستمع بانبهار، ثم سأل:

- هل شاركتَ من قبل في إلقاء الخطابات على الناس يا سيدي؟!

رد "ألفرد" بغرور:

- وكيف أدربك إذًا؟!

وتابع بهمس كالفحيح:

- شاركتُ في كل شيء! كنت جنديًا مع المداهمات في بعض القرى، وقسيًا عند توزيع الطعام في مناطق أخرى، قُتُ بتعميد العشرات في الكنيسة، وأشرفتُ على وصول عشرات غيرهم لينوا حضارة بلداننا، والآن أستلم الأشياء الخاصة وأدربها لتكون جنودًا تدافع عن أهدافنا وتموت بدلًا عنا، كما أدرب الفاشلين أمثالك على مهارات لغة الجسد والتأثير ليستكملوا مسيرة السيطرة الفكرية والثقافية! إنني أسطورة كبيرة يا "ماكرو"!

قال "ماكرو":

- كم أتمنى أن أصبح مثلك يا سيدي.

رد "ألفرد" وقد أشاح ببصره إلى النافذة:

- ستبقى مجرد أمنية يا بني!

لبث "عثمان" قرب "مادو" يمسح على رأسه، ويتلو آيات من القرآن الكريم، ويتفقد حرارته بين الحين والآخر، منتظراً إفاقته على أحرّ من الجمر، وأخيراً استيقظ "مادو" وهو يئنّ بألم، وحين فتح عينيه وجد أمامه "عثمان" المبتسم جذلاً، والذي هتف:

- ها أنت ذا تستيقظ أخيراً! الحمد لله على سلامتك، لقد جعلتني أقلق عليك.

وساعده حتى جلس، وقال:

- مدّ ساقيك ولا تخجل؛ فما زالتا متعبتين، أخبرني.. هل أنت بخير الآن؟!

رد "مادو" بخجل؛ إذ لم يكن معتاداً على الاهتمام من قبل:

- بخير بخير.. شكراً لك.

قال "عثمان":

- العفو، هذا واجبي.

وتابع متحمساً:

- لقد كانت معركة صعبة، أليس كذلك؟! رأيتُ "عروة" حين أُصيب؛ كان ذلك العelj الصليبي قد أطلق النار عليه، ثم شخّذ بندقيته لإطلاقٍ جديد، وهنا اضطررتُ

للابتعاد عنك وعاجلته بطلقة أردته قتيلاً بفضل الله تعالى، لكن زميله أصابني،
وبعدها لم أعد أشعر بشيء!

رمقه "مادو" بحيرة محاولاً استيعاب كلامه، ولم ينتبه "عثمان" المتحمس لهذا، بل
تابع:

- هيه! لم أستيقظ إلا وقد بكّوني وقيدوني تماماً قاتلهم الله من جناء! ثم جاؤوا بي
إلى هنا، وقد حاولوا سحب المعلومات مني، غير أن الله عز وجل ثبتني فلم أقل
حرفاً واحداً، ههه لو رأيت السم الذي تفيض به مآقيهم غيظاً من أخيك! الحمد لله،
هذا فضل الله..

والتفت إليه وتابع:

- أعرف أنني تكلمت كثيراً، ولكنني انتظرتك أكثر، صحيح.. كيف قبضوا عليك
أنت؟ ولماذا لم أرك إلا الآن؟! اممم.. ربما لأنك ترتدي بزة عسكرية مثلهم فتأخر
انكشاف أمرك فاعتقالك؟ وبمناسبة الكلام عن البزة: تبدو لي فكرة ممتازة، ولكن
لماذا لم تخبروني عنها؟! وعلى ما أذكر: لم يرد سياق هذه الملابس في خطة العمل.

كان "عثمان" يتكلم بطلاقة وأريحية، ويزخ الأحداث التي عاصرها كالرصاص على
رأس "مادو"؛ إذ كان سعيداً جداً وهو يرى أحد أصدقائه بعد كل هذا الوقت،
وتوقف أخيراً عن حديثه فجأة، وقال:

- لكن.. لماذا لا تشاركني الحديث يا "أحمد"؟! وما هذه النظرة الخاوية على
وجهك؟!

ازدرد "مادو" ريقه بصعوبة، كان محتاراً بشدة من كل ما يجري، ولا يفهم شيئاً مما يدور حوله، إضافة إلى ألم رأسه من الصداع الفظيع، خُيِّلَ إليه أن هذا من تأثير الحمى، ولكن ماذا يصنع الآن؟!

وأخيراً وجد صوته، ونكس رأسه، وأجاب "عثمان" المترقب لردّه:
- لكن أنا.. لستُ "أحمد"!!

انتهت الحلقة الثانية عشرة

...يتبع

